

وهنا أوشك الحسين أن يزلزل أقدام العدو، وأن يضعف من حماس جنده في الدفاع عن مولاهم يزيد. وتأكد له أنهم يخدمون ابن زياد رهبة منه، ورغبة في ماله.

وقد خشى عمر بن سعد، قائد جيش ابن زياد أن يخرج الأمر من يده، فغذ بسهمه مُعلنًا بدء القتال، وتبعته السهام من كل جانب.

وهنا ينظر الحسين إلى أصحابه الذين بلغوا ٣٢ فارسًا و٤٠ راجلًا، ويقول: «قوموا يا كرام، فهذه رسل القوم إليكم».

وهنا أيضًا - يوم الجمعة - تبدأ المأساة. مأساة كربلاء، التي وصفها ابن طباطبا مؤرخ آل البيت في كتابه «الفخرى في الآداب السلطانية».

ويقول خالد محمد خالد في كتابه «أبناء الرسول في كربلاء»:

«إن كربلاء ليست مأساة وفاجعة، ومناسبة للبكاء والعيول، ولكنها في جوهرها ومضمونها الصحيح، مهرجان للحق وعيد للتضحية، ويوم فريد في تاريخ الآلام والبطولات، وفي تاريخ المجد والعظمة. وإن أعظم ما صنع الحسين وأهله وصحبه في ذلك، هو أنهم جعلوا الحق قيمة ذاته ومثوبة نفسه. فلم يعد النصر مزية له، ولم تعد الهزيمة ازدراء به. وإن الاقدار لم تدع رءوس أبناء الرسول تحمل على أسنة رماح قاتليهم، إلا لتكون مشاعل على طريق الأبد للمسلمين، يتعلمون في ضوئها الباهر، أن الحق وحده هو المقدس، وأن التضحية وحدها هي الشرف».

تفاصيل معركة كربلاء دقيقة بدقيقة منشورة في كتب كثيرة، وخاصة كتاب «مقاتل الطالبين». بالإضافة إلى كتاب محمد أحمد عاشور بعنوان «سيد شباب أهل الجنة»، وكتاب توفيق أبو علم: «أبو الشهداء، أبو عبد الله الحسين بن علي». وكتاب عباس العقاد «أبو الشهداء، الحسين بن علي» وعشرات وعشرات الكتب التي تناولت من قريب أو بعيد «مأساة كربلاء»، بالإضافة إلى مئات من كتب الشيعة التي الفت على مدى أربعة عشر قرنًا من الزمان.